

تُطيعين الله ؟ قال : هو شيء واحد . وقال الله في كتابه العزيز : (من أطاع الأولياء فقد أطاع الله) ! فقلت لها : ليس هذا كلام الله ، وليست هذه آية من القرآن العظيم . قالت : بل هو من كلام الله وهي آية من القرآن وإنِّي سمعتها من << الفقراء >> ويعد جدال طويل حول هذا الكلام هل هو قرآن أو ليس بقرآن سألتنا قائلة : إذن ما ذا قال الله في القرآن : فقلنا لها : قال : << من يطع الرسول فقد أطاع الله >> فقالت : هذا هو نفس ما تلوتهُ أنا عليكم لأن طاعة الأولياء هي طاعة الرسول عليه وسلم وطاعة الرسول هي طاعة الله . فعجبنا لمنطقها هذا وسألناها عن الفرق بين النبي والمولي فقالت أن : << النبي خالقنا ... >> فسألناها ما معنى << خالقنا >> ؟ فإذا هي لا تفهم لهذه الكلمة معنى . وسألناها كيف تُطيعين الأولياء ؟ قالت : أزورهم وأجعل لهم << الوعودات >> وأقدم إليهم المنذور وأسلم إليهم تسليمًا كليًا حتى إنني لا أفعل شيئًا ولا أترك شيئًا آخر إلا بعد ما أستشير الأولياء وهم يحبونني ولأراهم في المنام كثيرًا وكان مرادي أن لا أزور سيدي عابد هذا العام لأنني نظرت في أمري فرأيت أن المتكليف والمنفقات التي تجب في هذه (الزيارة) هي كثيرة باهضة لا تطاق . ورأيت أن الربح مشكوك فيه إذا لم تكن هنالك خسارة . فنويت أن لا أزور هذا العام . ولكن ما هي إلا أن ذويت هذه النية حتى وقف علي في المنام رجلٌ مربع المقد ، شديد بياض الشياب شديد سواد المشعر في نحو الأربعين من عمره ، تبدو على ملامح وجهه . وفي نظرات عينيه كل دلائل الحزم والشايط وقال لي : يا زبيدة قومي زوري سيدي عابد ، ثم مضى فاستيقظت أنا على الأثر . وقلت في نفسي هذه أضغاث أحلام ووضعت رأسي على الوسادة . وما هي إلا أن أغمضت عيني حتى وقف علي هذا الرجل مرة ثانية وقال لي بلهجة حازمة جازمة : يا زبيدة ألم أقل لك قومي زوري ؟؟ قالت : فاستيقظت أيضًا . واستعدت بالله من الشيطان الرجيم ثلاث مرات وتفلت (بصقت بأصاقي خفيًا) إلى اليسار ثلاث مرات أيضًا ، ثم عدت إلى نومي ولم تكد تغفو عيني حتى وقف علي الرجل للمرة الثالثة وفي مناه سيف مُصلت وكان الشرر يقدح من عينيه . وكانت نظراته كشواظ من نار . وقال : يا زبيدة لقد أمرتكَ مرتين بالزيارة فلم تُطيعي . واستعدت بالله مني . كأنني شيطان رجيم . أنا عابد ، أنا عابد ، أنا عابد ثلاث مرات . وإذا لم تزوري فإنني أقصم ظهرك بهذا السيف . قالت : فاستيقظت خائفة مذعورة أرتعد وأرتجف . وقمت إلى أمتعتي في ذلك الليل فحزمتها . وأمرت جميع النساء اللاتي هن تحت إمرتي (تصبري) بأن يتأهبن للزيارة في صبيحة اليوم التالي . ونحن هنا منذ أسبوع أنا وثلاث نساء في هذه المقبة (الحانة) والنساء الأخريات وهن إحدى عشرة امرأة ضربت لهن قبة خاصة بهن وجعلتها حجرات بعددهن لكل واحدة حُجرتُها والدعنا إلى زيارة قبتهما الأخرى . وقالت : ها هي قريبة . وأشارت إلى ماخُور منصوب فاعتذرتنا عن ذلك وقلت لها أنا : أبمثل هذا تُطيعين الأولياء يا زبيدة ؟ قالت نعم ، الأولياء يحبون الزهو . قلت : حاشا لله إنهم يحبون المصلاج والمتقوى ولما يحبون لكم ما أنتم فيه من المجون والداستتار في المعاصي . □

محمد السعيد الزاهري

□ جريدة المصراط السوي العدد المسدس عشر (11)